احتيـــاط

كان رئيس الوفد وصاحبه فى القاهرة أمس لم – يبرحاها ولم يفكرا فى الانتقال منها قبل أن يأتى ميعاد السفر ، وكانت بينهما وبين هذا الميعاد ليلة كاملة وساعات طوال . وكانا من غير شك يتحدثان فى غير السفر ، ويفكران فى غير الاسكندرية ويعنيان بما يعنى به المقيمون فى القاهرة من الأمر ، ولكن الوزارة كانت تفكر فيهما وتتهيأ لهما وتأخذ الحملة التى تتعرض لها إذا أقبل مساء اليوم .

ولو أن هذا الحديث قيل فى بلد غير مصر لضحك منه الناس ولزعموا أن الكاتب يريد أن يعبث ويلهى قراءه ، ولكن هذا الحديث يقال فى مصر ، فيجب أن يصدق ، ويجب أن يطمئن الناس إليه . ففى مصر ظاهرتان لا يوجدان فى غيرها من بلاد الأرض . فى مصر وفد خطر ، وفى مصر وزارة حذرة . فإذا استيقظ خطر الوفد تنبه حذر الوزارة . وإذا تحرك رئيس الوفد[1] أو أحد من أعضائه نشط وزير الداخلية ، وعدا أعوانه وموظفوه فى العاصمة والأقاليم !

وكذلك لم تكد تعلم وزارة الداخلية أن رئيس الوفد وصاحبه يريدان السفر إلى الاسكندرية ظهر الأحد حتى احتاطت للأمر ، وتأهبت للخطر ، وأخذت للحرب عدتها فأسرعت يوم السبت إلى نفر من أهل الاسكندرية ، فبسطت عليهم سلطانها ، وأظلتهم بجناحها الرحيم وزجت بهم فى أعماق السجن لتحميهم من رئيس الوفد ومن صاحب رئيس الوفد . فوزارة الداخلية تحب هؤلاء الناس وترعاهم ، وتؤثرهم بالمودة والبر ! وتشفق على حناجرهم من الهتاف وعلى أيديهم من التصفيق ! وترى من الخير أن تغيبهم فى السجن وتحبسهم عن أهلهم وأصدقائهم ، وتعطل منافعهم ومرافقهم ، فذلك خير لهم وأبقى عليهم من أن يتعبوا حناجرهم بالهتاف ويقطعوا أكفهم بالتصفيق ويسعوا

كوكب الشرق ٢٤ – ٧ – ١٩٣٣ .

(١) رئيس الوفد هو دولة مصطفى النحاس باشا رضى الله عنه ، وصاحبه هو الأستاذ مكرم عبيد (مكرم باشا فيما بعد) .

إلى لقاء هذين اللذين كان من الحق عليهما ألا يصطافا كما يصطاف الناس ، وألا ينتقلا كما ينتقل الناس ، وألا يكون لهما أعوان وأنصار كما أن لرجال السياسة أعوانا وأنصارا ، وألا يحبهم الشعب كما تعودت الشعوب أن تحب زعماءها وقادتها .

نعم ووزارة الداخلية لا تشفق على هؤلاء الناس ولكنها تشفق على الاسكندرية[1] كلها ، وهى إذا آثرت هؤلاء الناس بحبها وسجنها فلعلها أن تؤثر بالحب والسجن أهل الاسكندرية جميعا ، فهم جميعا يحبون رئيس الوفد وصاحبه ، وهم جميعا يريدون أن يخفوا لاستقبال رئيس الوفد وصاحبه ، وهم جميعا يحرصون على أن يلقوا رئيس الوفد وصاحبه بالهتاف والتصفيق . وليست حناجر أهل الاسكندرية وأيديهم بأقل حظا من عناية الوزير بحناجر هؤلاء الناس الذين تفتحت لهم أبواب الرحمة فى سجون أمس فى الاسكندرية وأيديهم . وأخص ما تمتاز بها الحكومات إيثارها للعدل، وإنصافها فى الحكم وتسويتها بين الناس فى شدتها ولينها ، وفى بأسها ونعيمها . فهى أرفق بأهل الاسكندرية وأحدب عليهم من أن تؤثر بالسجن منهم فريقاً دون فريق ، وتختص بالحبس منهم جماعة دون جماعة . وأكبر الظن أن الحكومة لم تبخل بالسجن على أهل الاسكندرية إلا لأن سجونها فى هذه المدينة أضيق من أن تسعهم وأكبر الظن أنها ستجعل المدينة كلها سجنا منذ اليوم فتبث حولها الجنود ، وتنشر حولها البنود ، وتضاعف فيها الشرطة فى النهار ، والعسس فى الليل . وأكبر الظن أنها سترضى بذلك حاجة الاسكندريين إلى العدل ، ورغبة الاسكندريين فى الإنصاف والمساواة . بل أكبر الظن أنها سترضى كثيرا من المصريين الذين سيذهبون إلى الاسكندرية ليصطافوا أو ليقضوا بعض منافعهم ومرافقهم فسيذوق هؤلاء المصريون كلما ذهبوا إلى هذه المدينة السعيدة أو أقاموا فيها حلاوة السجن وعذوبة المقام فيه !!

---

(١) أراد مصطفى النحاس باشا – رضى الله عنه – أن يتوجه إلى ساحة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بجهة أبى العباس المرسى والبوصيرى . فاعترض موكبه وكيل الحكمدار وقال : إن عندى أمرا عسكريا بمنع المرور .

فأجاب الرئيس غاضبا : إن هذا الأمر لا مبرر له ، وإن الشعب مسالم وأنتم الذين تتحرشون به ، فحافظوا على النظام فقط يتبين لكم هدوء الشعب ومسالمته فرد وكيل الحكمدار قائلا إن لديه أمرا عسكريا بمنع المرور .

وأجابه الرئيس بأنه لابد من المرور ، وأمر السائق بالسير فعلا . ولم تمض لحظة حتى كانت سيارة الرئيس تخترق الحصار بين الكتل البشرية من الجماهير المتحمسة والألوف الهاتفة المصفقه والأعلام المرفوعة .

وكم كان جميلا وداعيا إلى الغبطة والفخر أن نسمع اسم المجاهد الكبير المحبوب الأستاذ مكرم يتردد على السنة ألوف المحتفلين بمولد النبى ﷺ مقرونا بالدعاء له بالحياة فى كل مكان - كوكب الشرق ٥ – ٧ – ١٩٣٣ .

والغريب أن رئيس الوفد وأصحابه لا يتعظون بالحوادث ولا ينتفعون بالتجارب ، ولا يزالون يفكرون فى أنهم كغيرهم من الناس من حقهم أن يفزعوا من حر القاهرة إلى هواء الاسكندرية الطلق ونسيم الاسكندرية العليل . أليس من الممكن أن يكون رئيس الوفد وأصحابه يجدون لذة فى حياة السجون ! ويجدون نعمة فى مراقبة الجند لهم وللناس ؟! أليس من الممكن أن يكون رئيس الوفد وأصحابه قد ذهب بهم الإيثار إلى أبعد حدوده وأقصى غاياته فهم لا يريدون أن ينعم أهل القاهرة وحدهم بتضييق الحكومة عليهم كلما أرادوا أن يتصلوا بهم أو يسعوا إليهم . وإنما يريدون أن تشيع النعمة ويعم الإحسان ، ويشمل لطف الحكومة وبرها أهل العاصمة الثانية فى الصيف كما يشمل لطف الحكومة وبرها أهل العاصمة أهل القاهرة فى غيره من فصول العام ؟!!

أليس من الممكن أن يكون الله – عز وجل – قد جمع كلمة الوفد والوزارة مع بعد ما بينهما على حب المصريين ، والبر بهم ، والعطف عليهم ورياضتهم على حياة السجون من حين إلى حين فتكمل فيهم صفات الحزم والعزم والقدرة على المقاومة والثبات للمكروه ؟ أليس من الممكن أن يكون هناك اتفاق خفى بين الوفد والوزارة على أخذ المصريين بهذه الألوان من الرياضة اللذيذة الخصبة التى تنتج فى حياة الأمم أحسن النتائج وتؤثر فى رق الأمم أجمل الآثار ، وأن يكون قوام هذا الاتفاق أن يتحرك الوفد فتنشط الحكومة وأن ينتقل الوفد فيسخر الجند ، وأن لا ينزل رئيس الوفد فى مكان إلا سجن فيه وسجن معه الناس .

كل هذا ممكن ، وأى شىء غريب يقع فى هذه الأيام ، وإذا كان من الحق أننا نعيش فى عهد الحرية الواسعة المطلقة وأننا مع ذلك لا ننتقل إلا فى رقابة الشرطة ولا نتكلم إلا إذا أذن لنا فى الكلام ولا نكتب إلا إن صادف ما نكتبه أهواء سادتنا والمتسلطين علينا ، إذا كان هذا كله حقا فما الذى يمنع أن يكون من الحق أيضا أن الوفد يحب السجن لنفسه وللناس . وما الذى يمنع أن الوفد قد أمضى مع الحكومة اتفاقا خفيا على أن تذيقه وتذيق الناس معه الحياة الحلوة الناعمة ، حياة السجون !

كل شىء ممكن فى هذه الأيام ، لأن كل شىء مختلط فى هذه الأيام فكن ذكيا ما وسعك الذكاء ، وكن فطنا ما أتيحت لك الفطنة فلن تستطيع أن تفسر لغير المصريين هذه الحياة التى يحياها المصريون والتى تعقد فيها المخالفات بين السعة والضيق ، وبين النعيم والبؤس ، وبين الحرية والتضييق على الناس ، وبين الدستور والخروج على

الدستور ، وبين القانون ومخالفة القانون وبين معارضة الوفد للوزارة واتفاق الوفد مع الوزارة على أخذ الناس بحياة السجون .

لن تستطيع أن تبين هذا لغير المصريين لسبب يسير ، وهو أن الحياة المصرية قد انفصلت من حياة الناس جميعا ، فأصبح المصريون وحدهم ممتازين ، واشتركت الشعوب الإنسانية كلها فى هذه الصفات السخيفة التى يسمونها الحرية والإخاء والمساواة ، ولأن عقلية المصريين قد انفردت من عقليات الناس جميعا ، فأصبح المصريون وحدهم عقلاء ، وأصبح غيرهم من الناس مجانين ، وآية ذلك ، وهل ذلك يحتاج إلى آية أن العالم كله مضطرب يخضع لأنواع الأزمات وضروب المحن والخطوب ، وأن مصر وحدها — مصر من دون الشعوب جميعا — هادئة مطمئنة ، وراضية ناعمة ، يجرى كل شىء فيها على أحسن ما تحرك الأشياء .

لقد وفقت الوزارة كل التوفيق حين احتاطت أمس ، وحين تحتاط اليوم لسفر رئيس الوفد وصاحبه إلى الاسكندرية لفتح أبواب السجون ، وبث الشرطة والجند ، ووفق رئيس الوفد وصاحبه كل التوفيق حين لم يمنعهما هذا الاحتياط من مضيهما في عزمهما على السفر وذهابهما الى هذه المدينة التى ستصبح سجنا منذ اليوم ، فإن الوفد ورئيسه أحزم وأرشد من أن يدعا أعمال الحكومة تذهب فى غير طائل ، وجهود الحكومة قد جعلت مدينة الاسكندرية سجنا منذ اليوم ، فيجب أن يذهب إليه رئيس الوفد وصاحبه . وهل تنشأ السجون على هذا الطراز إلا للوفد والوفديين .